

# بَدْرُ الْكُبُرِي

## الدُّكُورِ احْمَدُ مَطْلُوب

« أَنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمٌ إِنَفْسَهُمْ قَالُوا : فَيْمَا كُنْتُمْ ؟ قَالُوا : كُنَّا هُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۝ قَالُوا : إِنَّمَا تَكُونُ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتَهَاجِرُوا فِيهَا فَإِنَّكُمْ لَمَّا وَاهِمْ جَهَنَّمْ وَسَاتْ هَصِيرَا (٩٧) ۝ إِلَّا هُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوَلَادَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) ۝ فَإِنَّكُمْ عَسَى اللَّهَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا (٩٩) ۝ وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَعْجَدُهُ فِي الْأَرْضِ مِرَاغِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ، وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مَهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يَدْرُكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا وَحِيمًا (١٠٠) (النساء)

هذه آياتٌ بيّناتٌ دعت إلى الهجرة وحبّبتها لل المسلمين «الذين كانوا سوا يندوّون الويل من كفار قريش ومن ضرب الله على قلوبهم فإذا هي لا تعي رسائلة السماء ، ولا تؤمن بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام ۝ وقد رسم القرآن أروع صورة للمهاجرين الذين تركوا أهليّهم وديارهم وأموالهم وفرّوا بأنفسهم يحملون عقيدة سامية ، ويحملون رسالات تستقي تغیر العالم ، وتضفي عليه أسمى ما تصبو إليه الإنسانية في كل زمان ومكان ۝

يقول الله تعالى في المهاجرين : « وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارُ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِالْأَحْسَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، وَأَعْدَ اللَّهُمَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ، ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » ۝ (التوبة ١٠٠)

ويقول عز وجل : « وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنْ يَبُؤُنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ، وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) ۝ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٤٢) (النحل)

ويقول سبحانه في المهاجرين والأنصار : « لِلْفَقِيرِاءِ الْمُهَاجِرِينَ الدِّينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَسْتَغْوِي فَطَّلَّا مِنْ نَّارٍ وَرَضِوا نَّارًا وَنَصَرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَئِكَ هُمُ الظَّادِقُونَ (١٨) » . وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يَعْبُونَ مِنْ هَاجِرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورَهُمْ حَاجَةً مَا أَوْتَوا ، وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَاصَّةً ، وَمِنْ يُوقَ شَحْ نَفْسِهِ فَأَوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩) . وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبُّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلَا خَوَانِا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غُلَّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبُّنَا أَنْكَرَ رَؤُوفَ رَحِيمَ (١٠) (العشر)

ومضى المسلمون إلى المدينة المنورة ليبشروا بدینهم العذاب ، ولیحفظوا أنفسهم من العذاب الذي كانوا يلقونه من المشركين ، ويصونوا إيمانهم من ان يتزعزع وهم في جحيم الكفر وأتون العذاب . وكان لهجرة الرسول الاعظم وصحبه الاخيار أكبر الاثر في الدعوة الإسلامية ، فبعد أن كان النبي الكريم يجادل المشركين والكافر بالتي هي أحسن ، وبعد أن كان المسلمين في مكة يتحملون الأذى صابرين محتسبيين ، ويتحاشون الاصطدام بالكافر دفعا للضر والاذى – صار الرسول عليه الصلاة والسلام وصحبه يواجهون المشركين والكافر بقوة وصلابة ، ويتصدون بهم الدوائر ليزعزعوا كيان الشرك والاتحاد ، وينشروا الدعوة الإسلامية في الآفاق . وقد أمرهم الله سبحانه وتعالى – بالجهاد وخوض المعارك لاعلاء كلمة الله . ونزلت الآيات التي تفرض الجهاد على المسلمين فرضاً . وتدعوهم إلى القتال والنزال .

وكانت سورة البقرة – وهي أول سورة نزلت في المدينة – عنوان هذا الجهاد ، وفيها قوله تعالى : « وَلَا تَقُولُوا مَنْ يَقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٍ أَحْيَا ، وَلَكُنْ لَا تَشْعُرُونَ (١٥٤) وَلَنُبَلُّنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقصُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثِّمَرَاتِ ، وَبُشِّرَ الصَّابِرِينَ (١٥٥) .

وقوله : « وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْاتِلُونَكُمْ ، وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) . وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقْتُمُوهُمْ ، وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرِجُوكُمْ ، وَالْفَتْنَةُ أَشَدُ مِنَ الْقَتْلِ ، وَلَا تَقْاتِلُوهُمْ عَنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْاتِلُوكُمْ فِيهِ ، فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ، كَذَلِكَ جُزْءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) .

وقوله : « كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْقَتْلَ وَهُوَ كَرِهٌ لَّكُمْ ، وَعَسَى أَنْ تَكْرُهُوَا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌ لَّكُمْ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦) .

وقوله : « وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلَيْهِ » (٢٤٤) .

وتواترت آيات الجهاد والبحث عليه في سور آخر ، يقول سبحانه وتعالى ، في سورة « آل عمران » : « **وَلَا تَهْنِوا وَلَا تَعْزِزُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** » (١٣٩) .

ويقول : « **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَمَا يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَسُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ** » (١٤٢) .

ويقول في سورة « النساء » : « **لَا يُسْتُوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضْلٌ لِلَّهِ الْمُجَاهِدُونَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرْجَةٌ وَكُلُّا وَعْدٌ مِّنَ اللَّهِ الْحَسَنِي وَفَضْلُ اللَّهِ الْمُجَاهِدُونَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا** » (٩٥) . درجات منه ومغفرة ورحمة ، **وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** (٩٦) .

وهكذا فرض الجهاد على المسلمين ، وكلن هذا أمراً محظوماً بعد تلك السنوات الصعبة التي مررت بها الدعوة الإسلامية .. وبعد ذلك الصراع ، الذي كان يعتمد في بيوت مكة ودروبها وشعابها ، وبعد تلك الجفوة التي بدأها المشركون ، وتلك المقاطعة التي ابتدأ بها الرسول (ص) وصحابه الآخيار .

وتحمل النبي - عليه السلام - هذه الصعاب وتصبر على تلك الجفوة والمقاطعة ، وتحت المسلمين على تحمل الأذى ، والسوء الذي كان ينزله بهم المشركون ؛ لأن نصر الله قريب ، قسوف تعلو كلمة الله ، وتسطع شمس العزة والقوة ، وتبوء كلمة المشركون بالخزي والاندحار ، وتأفل سلطتهم ، وتنوارى شياطينهم التي أضلتهم السبيل ، وأفسدت نفوسهم وعقولهم ، فلم يحفظوا إلا ولا عهدا ، ولم يرعوا ذمة ولا حرمة ، ولم يحترموا صلة الرحم والقربي بينهم وبين الرسول والمسلمين .

وشاء الله أن يكون رمضان شهراً مباركاً ، وأن ينزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، وأن ينصر الرسول والمسلمين في وقعة بدر الكبرى التي كانت حداً فاصلاً بين الكفر والإيمان ، وبين الشرك والتوحيد . وقد أكدت هذه المعركة للمسلمين أنهم - لا بد - منتصرون .. وأن دعوتهم ستملاً الدنيا عدلاً ونوراً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً . وقدفت في قلوب الكفار والمرتكبين الرعب ، وزعزعت كيانهم ، وفرقت شملهم ، وأشمتت بهم القبائل والأعداء .

وكان خروج الرسول الكريم إلى كسر شوكة قريش ، وخذله عودهم يوم الاثنين لثمان خلون من شهر رمضان المبارك من السنة الثانية للهجرة . واستعمل عمرو بن أم مكتوم على الصلاة بالناس ورد أبا لبابة من الروحاء واستعمله على المدينة ، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد

هناك بن عبد الدار ، وكان أمّا رسول الله « صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » رأيتان سوداوان ، أحدهما مع علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – يقال لها « العقاب » ، والآخر مع بعض الانصار .

وسيار النبي الكريم ومعه الانصار والهاجرون ، والنصر أمامهم ، وأعلاه كلمة الله بغيتهم . وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا قافتهم وتجارتهم ، فاستشار الناس وخبرهم عن قريش . وهنَا اتضحت البطولة بأجلٍ مراميها ، وتجلت التضحية باسمِي معانيها ، وظهرت سائر المسلمين على حقيقتها ، فقام أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – فقال وأحسن ، وقام عمر بن الخطاب – رضوان الله عليه – فقال وأبدع ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : « يا رسول الله ، امض لما أراك الله فتحن معك ، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لوسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا ، أنا ه هنا قاعدون » ولتكن اذهب أنت وربك فقاتلا ، أنا معكما مقاتلوب ، هو الذي يعتلك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغمام لحالتنا معك من دونه حتى تبلغه » .

واراد الرسول العظيم أن يستوثق من أمر الانصار فقال عليه المصلاة والسلام : « اشيروا علي أيها الناس » . وإنما يريد الانصار ، وذلك انهم حين يابعوه بالعقبة قالوا : « يا رسول الله أنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا فأنتم في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا » . فكان رسول الله يتخوف أن لا تكون الانصار ترى عليها نصره إلا من دهمه بالمدينة من عدوه ، وإن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم . فلما قال ذلك الرسول قال له سعد بن معاذ : « والله لكأنك تريدين يا رسول الله ؟ »

قال : « أجل » .

قال : « فقد أمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيتك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فتحن معك ، هو الذي يعتلك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تختلف منها رجل واحد ، أنا لصبر في الحرب ، وصدق في اللقاء ، لعل الله يريكم منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله » .

وكيف تكون التضحية والبذل والفداء والاخلاص المدعوة الاسلامية وللنرسول الكريم ؟ وكيف لا يسر النبي باصحابه ، ويعجب ببطولاتهم الفذة ، ويفرح بما يمانهم العميق ؟ وكيف لا يحث السير إلى مقارعة أعداء الله ؟

ولم تمض أيام قلائل حتى كان المسلمون والمشركون عند بدر ، وتزاحف الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، فكانت وقعة بدر الكبرى يوم الجمعة صبيحة السابع عشر من شهر رمضان . وكان الرسول عليه السلام يحرض المسلمين على القتال ويقول : « والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم

اليوم رجل فيقتل صابراً محتبساً ، مقبلاً غير مدبر ، الا ادخله الله الجنة » .  
وكان لهذه النفحات أثر عظيم في ايقاد حماس المسلمين واندفعهم للنجد عن  
دينهن الحنيف . وما هي جولات حتى أتم الله على المسلمين النصر ، وفرت  
قريش ، فطاردهم المسلمون يأسرون من لم يقتل ولم يساعده حسن فراره  
بالنجاة .

وكان دخول المسلمين المدينة المنورة في أول شوال وهم في أسماء  
أيامهم ، ورجع المشركون إلى مكة في أسى واكتتاب ، تلاحقهم لعنت الله  
والشر الذي انطلق ليحرق الكفار والمشركون ، ول稗سي درب المؤمنين في  
مسيرتهم التي شاء الله أن تنطلق من مكة فالمدينة إلى سائر الأقاليم  
والامصار .

وقد خلد القرآن الكريم هذه الموقعة الفاصلة في محكم آياته ، فقال  
في سورة « الانفال » :

« كَمَا أَخْرَجْتَ رِبَّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ، وَإِنْ فَرِيقًا مِنَ  
الْمُؤْمِنِينَ لَكَارَهُونَ (٥) . يَجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ ، كَانُوا يَسَاقُونَ إِلَى  
الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ (٦) . وَإِذْ يَعْدُكُمُ اللَّهُ أَحَدُ الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُونَ  
أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ، وَيَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَعْلَمَ الْحَقَّ بِكُلِّمَاتِهِ ، وَيَقْطَعَ  
دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) . لِيَعْلَمَ الْحَقُّ وَيُبْطَلَ الْبَاطِلُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨) .  
إِذْ تَسْتَغْيِثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجِابْ لَكُمْ أَنِّي مُهَدِّدُكُمْ بِالْفَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ هَرَدِفِينَ (٩)  
وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بَشَرِّي ، وَلَتَنْتَهَيَنَ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، إِنَّ  
اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠) إِذْ يَغْشِيْكُمُ التَّعَاصِيْ أَمْنَةً مِنْهُ وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ  
مَا يُبَاهِرُكُمْ بِهِ وَيَدْهِبُ عَنْكُمْ دِرْجَ الشَّيْطَانِ ، وَلَيُرَبِّطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُشَبِّهَ بِهِ  
الْأَقْدَامِ (١١) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مُعَكُمْ فَشَبَّوْا الَّذِينَ آتَيْنَا ، سَالَقِي  
فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ، فَاضْرِبُوهُمْ فَوْقَ الْأَعْنَاقَ ، وَاضْرِبُوهُمْ كُلَّ  
بَنَانَ (١٢) .

وقال في سورة « آل عمران » :

« وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلَكَ تَبَوَّيِّ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ الْقِتَالِ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ  
عَلِيمٌ (١٢١) . إِذْ هَمَتْ طَائِفَتَيْنِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشِلَا ، وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ  
فَلِيَتَوَكَّلُ الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢) وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِيَدِهِ وَأَنْتُمْ أَذْلَلُهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ لِعَلْكُمْ  
تَشَكَّرُونَ » (١٢٣) .

وخلد التاريخ العربي الإسلامي بدرًا الكبير ، وخلدها الشعراء على  
مدى الزمان من لدن حسان بن ثابت وكمب بن مالك إلى يومنا هذا ،

وسيخلدها الأدب والتاريخ إلى ما شاء الله . وستبقى هذه الواقعة العظيمة نوراً يستضيء به العرب والمسلمون ، وستظل مثاراً يهتمي به السائرون في سبيل إعلاء كلمة الله ، وتوحيد الأمة ، وإقامة دولة العرب الكبرى . وستخلد على الزمن ، وتبقى مثار نخوة وعزة ، وتصحيحة وفاء ، وآيات وصبر ، كما كانت أول مرة .

ان وقعة بدر علّمت المسلمين كيف يكون الإيمان بالله ، وكيف تكون الغلبة للفئة القليلة المؤمنة على الفئة الكثيرة الكافرة . . . وعلّمتهن أن هذا الدين جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وأنه دين لا تقف أمامه الحدود والجبار ، والأقاليم والدول . بل هو دين عالمي جاء للناس رحمة وهدى . . . وعلّمتهن أن هذا القرآن الذي أنزل على النبي محمد - عليه السلام - دستور يضع العالم في الطريق ، ويهدى للتي هي أقوم ، وينظم الحياة بكل أبعادها : السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، ويضفي على العالم نوراً يسعى بين أيدي الناس ويعمر قلوبهم بالإيمان . . . وعلّمتهن - بعد هذا كله - كيف يكون البذل والتضحية والوفاء ، وكيف يندحر الشرك وينجاح الظلام .

ان معركة بدر نور يستضيء به الناس ، وستبقى كذلك ما بقيت الأرض والسماء ، وما بقيت نفوس مؤمنة ، وما بقي رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . وما أعظم ذكرى يوم انتصر فيه الحق على الباطل ، ولاذت جموع الشرك واللحاد بالفرار ، ورجع المؤمنون إلى المدينة فرحين مستبشرين ليندفعوا من جديد نحو الخير ، وليبنوا للعرب والعالم كله حياة كريمة ومستقبل زاهراً تعزز به الأيام وتخليد المدهور .

